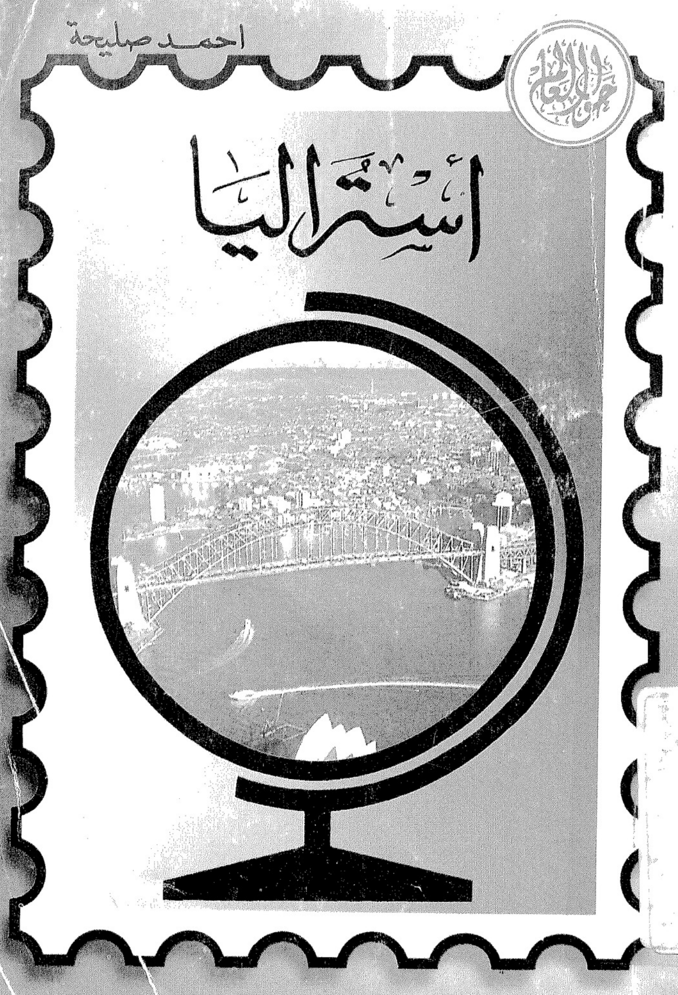

احمد صليحة
أستراليا

حول العالم

أستراليا

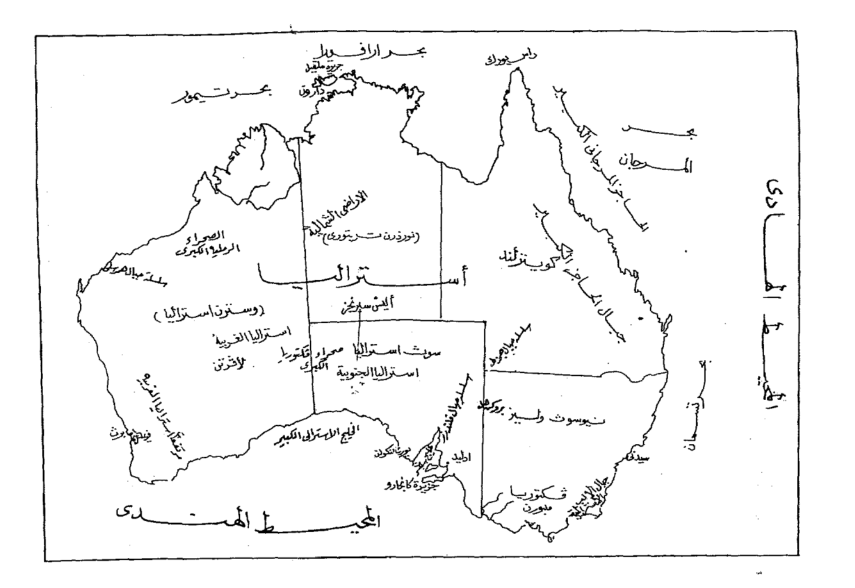
أحمد صليحة

الناشر

رقم الإيداع : ٤٦٨٣ / ٩٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-069-X

منف للنشر والخدمات الإعلامية



بحر ارافورا
جزيرة ملفيل
دارون
بحر تيمور
راس يورك
بحر المرجان
الحاجز المرجانى الكبير
المحيط الهادى
الاراضى الشمالية
(نورذرن تريتورى)
الصحراء الرملية الكبرى
أستراليا
أليس سبرنجز
(وسترن استراليا)
استراليا الغربية
كوينزلاند
جبال الحاجز الكبير
سوث استراليا
صحراء فكتوريا الكبرى
استراليا الجنوبية
نيوسوث ويلز
تسمان
سيدنى
الخليج الاسترالى الكبير
ادليد
جزيرة كانجارو
فكتوريا
ملبورن
بيرث
المحيط الهندى

أستراليا عبر الزمان

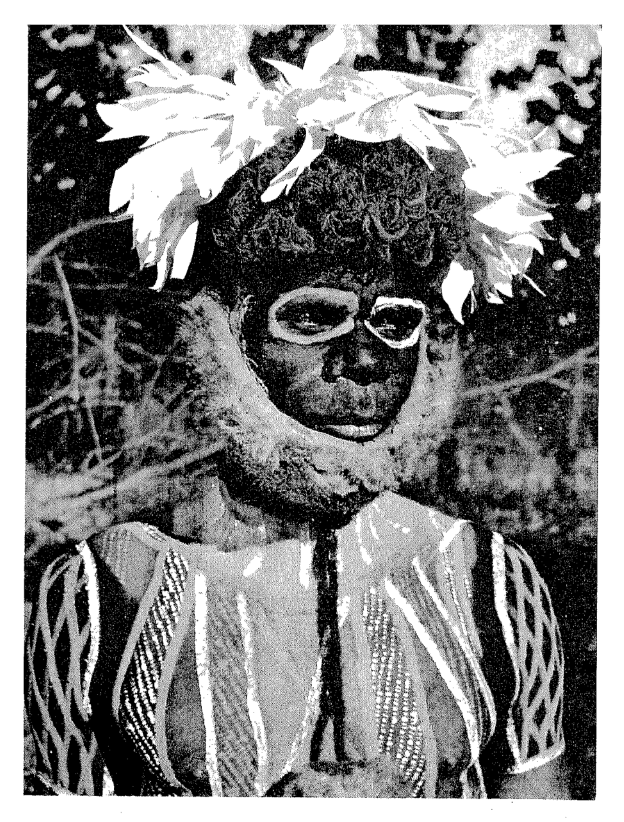
لأكثر من أربعين ألف عام سارت حياة العشيرة على وتيرة واحدة تقريباً منذ أن وفد أسلافها إلى استراليا من جنوب شرق آسيا عبر الجسور الطبيعية التى كانت تربط بين القارتين.. ظل أبناء العشيرة يعيشون طيلة هذه السنين على فطرتهم الأولى كأجدادهم الذين انقطعت صلتهم بالعالم قبل ثمانية آلاف عام حينما ابتلعت مياه بحر تيمور آخر تلك الجسور، فلم تتجاوز حضارتهم العصر الحجرى، أى أنهم كانوا يجهلون فن استخلاص المعادن، ولا يعرفون صناعة الفخار أو حياكة الملابس، ناهيك عن فنون الزراعة وتربية الحيوان والعمارة.

كان أهل العشيرة يعيشون على صيد الحيوانات والأسماك بحرابهم البدائية واقتناص الطيور بعصى البومرانج، وهى عصى مفلطحة معقوفة يقذف بها الصياد الطيور ليصيب أعناقها أو أجنحتها فتهوى الأرض، فإذا لم تصب أهدافها، عادت إلى الصياد وسقطت تحت قدميه.

وكانت ديانتهم ساذجة بسيطة مثل غيرهم من عشائر استراليا البدائية الذين كانوا يحسبون انهم ينحدرون من حيوانات او نباتات، ويطلقون على هذا الجد الأعلى اسم « الطوطم » ويحرم على أبناء العشيرة بالتالى صيده أو أكله، وكان الجد الأعلى لهذه العشيرة الكانجارو، ذلك الحيوان العجيب الذى ينفرد بالعيش فى أستراليا، ولايسير على أربع كغيره من الحيوانات، بل يقف منتصب القامة على ساقيه الخلفيتين كالبشر، ولكنه لا يمشى، بل يتنقل من موضع إلى آخر في وثبات واسعة قد تصل إلى ١٢ متراً.

ولم يكن أهل العشيرة يعرفون من الملابس سوى جلود الحيوانات والأصباغ التى يرسمون بها على جلودهم السمراء زخارف بديعة يغيرون بها من هيئتهم حتى لا تعرفهم أرواح الموتى، وهى أشد ما يرهبون.

كانوا يؤمنون بأن الأرواح خالدة، وأن الروح إذا فارقت صاحبها اختارت بقعة موحشة، ولبثت تنتظر أن تحل فى الأجنة حتى تولد من جديد، فإذا طال انتظارها غضبت، وإذا غضبت الروح الخفية، فمن ينجى الإنسان الضعيف من أذاها، وكان لهذا الأعتقاد أثره فى تمهيد الطريق لسيطرة البيض على أستراليا أستراليا !



يلجأ أهل المتوفى مثل هذا الرجل إلى التنكر لخداع الأرواح وفضلا عن صباغة الجسم بالألوان وتغطيته بأشكال زخرفية يلصق ذقنا صناعية بشمع العسل

فى أواخر صيف عام ١٧٦٨ أقلعت سفينة شراعية صغيرة من ميناء بلايموث تحت إمرة ضابط بحرى بريطانى يدعى جيمس كوك، وكان الهدف من رحلته علمياً، فقد كلف برصد بعض الظواهر الفلكية فى سماء نصف الكرة الجنوبى فى منطقة المحيط، وكان عليه بعد ذلك أن يبحث عن تلك الأرض الجديدة المجهولة التى سمع بوجودها الأوربيون إلى الجنوب من جزر الهند الشرقية.

كان على كوك أن يقطع بسفينته الشراعية مياه المحيط الأطلنطى العاصفة ليدور حول أمريكا الجنوبية، ثم يعبر تلك الصحراء المائية الشاسعة المعروفة باسم المحيط الهادئ حتى يصل إلى المحيط الهندى ليبدأ البحث عن القارة الجديدة.

ورغم عظم الأخطار لكن كوك لم يتردد فى القيام برحلته، فقد كان السباق على أشده بين انجلترا وغريمتها فرنسا على الاستحواذ على العالم بعد أن انسحبت البرتغال واسبانيا من الميدان وقنعتا بمستعمراتهما فى جنوب آسيا وأمريكا الجنوبية. وكان كوك قد سمع بأن الفرنسيين قد بعثوا بأسطول صغير تحت إمرة ملاح شهير يدعى لويس بوجنفيل للكشف عن هذه القارة الجديدة، فأصبح من المحتم عليه أن يسرع قبل أن يتمكن

الفرنسيون من الاستيلاء عليها .

ولحسن حظه فقد اصطدمت سفن بوجنفيل بحاجز مرجانى هائل فى أقصى غرب المحيط الهادئ، فارتد عن بغيته بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى منها، فإلى الوراء من هذا الحاجز العظيم تمتد السواحل الشرقية لاستراليا . أما كوك فاتجه أقصى الجنوب الغربى صوب جزيرة تسمانيا التى كان أحد مواطنيه قد اكتشفها قبل قرن من هذا التاريخ تقريباً، وتفادى بذلك صخور الحاجز المرجانى، فوصل إلى الساحل الجنوبى الشرقى لاستراليا فى يوم ٢٨ أبريل ١٧٧٠، أى بعد عامين تقريباً من بدء رحلته.

فى ذلك اليوم رأى أبناء العشيرة الذين كانوا يفتشون عن بيض النوارس البحرية كعادتهم فى رمال الشاطئ مشهداً أذهلهم.. فقد لمحوا عن بعد طائراً عملاقاً أبيض اللون يرتفع من وراء الأفق، ويسبح نحوهم فوق مياه الخليج الذى عرف فيما بعد باسم خليج بوتانى. فارتدوا فى فزع ليختبئوا وسط الأدغال المحيطة بالشاطئ، حتى يراقبوا هذا الوحش القادم.

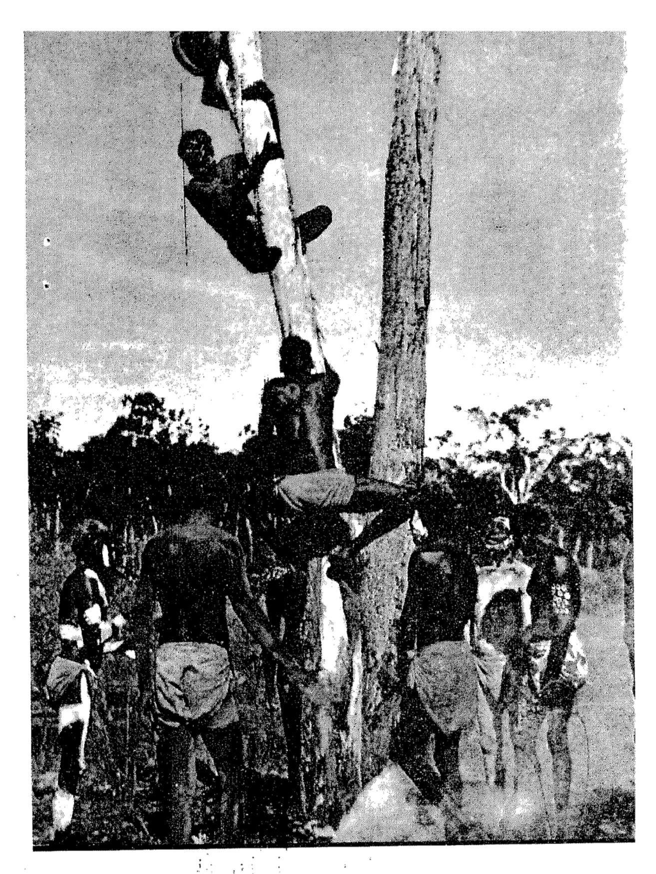
عندما اقترب الطائر من الشاطئ توقف، وطوى أجنحته

البيضاء. وتبين الأهالى لدهشتهم أن الطائر كان يحمل على ظهره مجموعة من الرجال نزلوا فى زوارق صغيرة متقنة الصنع لا تشبه جذوع الأشجار المفرغة التى كانوا يستخدمونها كقوارب لهم. وحينما نزل الرجال على الشاطئ استبد الخوف بأبناء العشيرة، فقد كانت هيئتهم وتصرفاتهم تدل على أنهم ليسوا من البشر العاديين.

صحيح أن شعورهم شقراء مثل أبناء عمومتهم سكان المناطق الصحراوية الغربية، لكن وجوههم بيضاء، وكذلك سيقانهم، أما صدورهم فحمراء وكذلك ذيولهم الطويلة المشقوقة، وأما أقدامهم فسوداء غليظة لا تنتهى بأصابع مثل أقدام البشر. أما أعجب ما فيهم فهو قدرتهم على خلع تلك الأقدام، وإيلاج الأيدى فى الأجناب والصدور.

كانت هذه المعجزة كفيلة بأن تقنع أبناء العشيرة البسطاء بأنهم أمام أرواح الأسلاف، فخرجوا يعبرون لها عن الولاء قبل أن تنزل بهم غضبها.

ـ أدهش هذا الاستقبال الودى البحارة الانجليز، ولم يفهموا فى

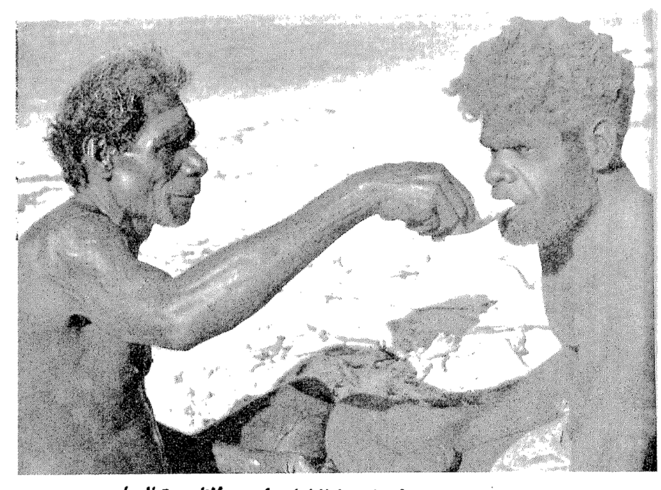


يتجمع أهل القبيلة حول إحدى الأشجار ويتسلقونها ضمن طقوس الجنازة

بادئ الأمر سر هذه الرهبة التى يتعامل بها أهل الأرض الجديدة معهم لاسيما إذا وضعوا أيديهم فى جيوبهم أو خلعوا أحذيتهم أو ستراتهم الحمراء ذات الذيول الطويلة المشقوقة على موضة ذلك العصر، ولكنهم أدركوا أنهم يفتحون عالمًا بكرًا وأنه لا قبل لسكانه البسطاء بقوة انجلترا، سيدة البحار آنذاك. وأطلق الانجليز على هذه الأرض اسم استراليا أو الأرض الجنوبية، أما سكانها فأسموهم لبدائيتهم الشديدة « الأبورجينلز » أى السكان الأوائل.

ولم تجتذب هذه القارة الموحشة المهاجرين الانجليز الذين كانوا يفضلون الهجرة إلى أمريكا على الضفة الأخرى من الأطلنطى، لذا لجأت انجلترا إلى إرسال السجناء لتعمير أستراليا، ووصل الفوج الأول منهم عام ١٧٨٨، أى بعد ١٨ سنة من اكتشاف القارة الجديدة.

وتتابعت عمليات إرسال السجناء إلى أستراليا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكانت سلطات المستعمرة الجديدة تؤجرهم للعمل فى المزارع الخاصة، ثم تسمح لهم بتملك الأرض عقب انتهاء مدة سجنهم، وقد بلغ مجموع من أرسلوا منهم حتى عام ١٨٦٨، وهى السنة التى ألغى فيها هذا النظام، حوالى ١٤٠



يحرم على أهل المتوفى أن يلمسوا الطعام بأيديهم أثناء مدة الحداد، لذا يطعم هذا الرجل زميله الذى صبغ جسمه وشعره حتى لاتتعرف عليه الأرواح

ألف رجل و ٢٠ ألف امرأة.

وكانت نقطة التحول فى تاريخ القارة اكتشاف الذهب فى عام ١٨٥١ فى منطقة باثهرست فى جنوب استراليا. وأدى هذا إلى

طوفان من المهاجرين، لا من انجلترا وأوربا فحسب، بل من الولايات المتحدة نفسها والصين، وارتفع سكان القارة فى سنوات قليلة من ٤٠٠ ألف نسمة إلى حوالي المليون.

ورغم أن أكثرية هؤلاء المهاجرين فشلوا فى العثور علي الذهب، لكنهم وجدوا فى مراعى استراليا الشاسعة مناجم أخرى للذهب، فقد كان بوسعهم استغلالها لتربية الأغنام وتصدير صوفها إلى انجلترا التى باتت تهيمن على سوق الأقمشة الصوفية آنذاك.

ومع تدفق المهاجرين، كان الصدام حتميا بينهم وبين السكان الأصليين الذين فطنوا إلى أن هؤلاء القوم هم بشر مثلهم وليسوا أرواح الأسلاف. وازداد سخطهم وهم يرون أرضهم تنتزع منهم لإنشاء مزارع لتربية الأغنام، لكن تفوق الأسلحة البريطانية حسم الصراع منذ البداية. كما أن اعتماد السكان الأصليين على جمع الطعام والصيد أدى إلى عيشهم فى جماعات صغيرة العدد متناثرة عبر القارة، ورغم أن عددهم كان يقدر فى مطلع القرن التاسع عشر بنحو نصف مليون نسمة لكنهم انقسموا إلى حوالى ٥٠٠ قبيلة تتكلم نحو ٢٠٠ لغة مختلفة، الأمر الذى جعل من المستحيل عليهم توحيد كلمتهم أمام الغزو، وارتضى أكثرهم



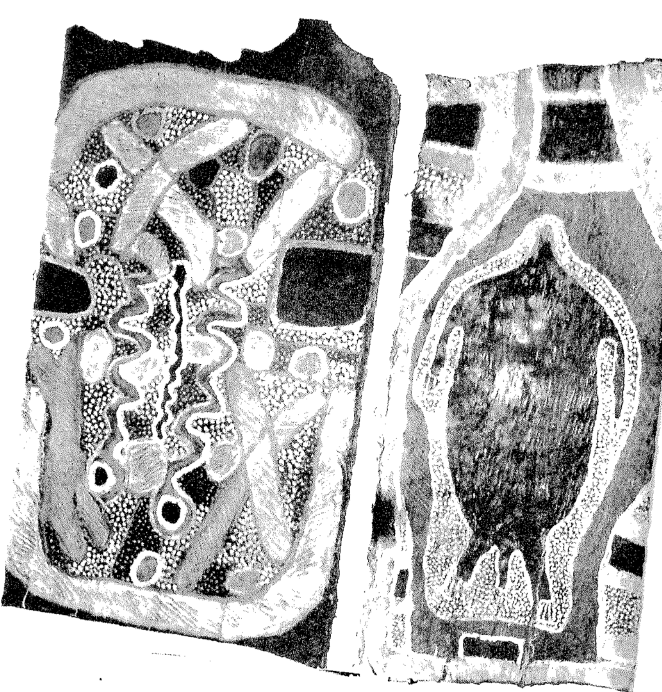
أحد رجال العشائر يصنع سلة لاستخدامها فى الطقوس
ويزينها بزخارف هندسية ملونة

الخضوع إلى الأمر الواقع وعملوا فى خدمة المستوطنين الجدد أو آثروا الهجرة إلى المناطق الشمالية والغربية التى لا يقبل الأوربيون

على سكناها نظراً لقسوة مناخها المدارى أوجفافها الشديد. وقد تضاءل عدد الأستراليين الأصليين إلى حوالى ٦٠ ألف نسمة خلال المائة عام التالية للاكتشاف.

وفى أواخر القرن التاسع عشر اكتشف الذهب فى جنوب غرب استراليا، مما أدى إلى موجة جديدة من الهجرة والنزوح إلى المناطق الصحراوية الغربية، وأصبحت أستراليا من كبار منتجى الذهب فى العالم، وانتعش الاقتصاد الأسترالى وازداد عدد السكان البيض سواء من المواطنين المولودين فى أستراليا أو من المهاجرين من أوربا وأمريكا مما مهد الطريق إلى استقلال أستراليا.

وكانت أستراليا مقسمة إلى سبع ولايات خاضعة للتاج البريطانى، لكل منها قانونها الخاص وبرلمانها الخاص، ومع تصاعد الشعور الوطنى تم الاتفاق على تأسيس اتحاد فيدرالى بينها فى عام ١٩٠١ على غرار الاتحاد الفيدرالي في الولايات المتحدة، مع استمرار خضوعها الاسمى للتاج البريطانى الذى يمثله حاكم عام تعينه بريطانيا، وإن كانت السلطة الحقيقية لرئيس الوزراء الاسترالى والبرلمان الاتحادى. واحتفظت كل ولاية



نماذج من لوحات السكان الأصليين وتعبر هذه الرسوم البدائية عن أسطورة من أساطير الخلق حيث يخرج الإله الأول من باطن الأرض ثم يفصل أرض أستراليا عن باقى العالم .. ويعتقد الأستراليون أن الشمس هى شعلة توقدها امرأة سماوية كل يوم فى الفجر ويشتد لهيبها وقت الظهيرة حينما تستخدمها فى طهو الطعام، وعندما تصل المرأة إلى الأفق الغربى تطفىء الشعلة ولا تبقى منها سوى جذوة صغيرة تستضىء بنورها « النجوم والقمر » حتى تعود إلى الشرق لتوقد الشعلة من جديد.

بقوانينها ومجالسها النيابية وحكوماتها المحلية. واستقلت استراليا بعملتها، وهى الدولار الاسترالى الذى يحمل على وجهه صورة حيوان الكانجارو رمز أستراليا وصورة العاهل البريطانى، لأن أستراليا رغم استقلالها مازالت تعتبر نفسها مملكة لا جمهورية يحكمها اسمياً الملك الجالس على عرش بريطانيا.

وكان اعتماد أستراليا فى بادئ الأمر على انجلترا في شؤون الدفاع، وقد حارب ألوف المتطوعين الأستراليين إلى جانب القوات البريطانية فى الحرب العالمية الأولى ثم الثانية، غير أن الهزائم التى منيت بها القوات البريطانية على أيدى اليابانيين خلال السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية، واحتلال اليابان لأندونيسيا المجاورة دفع استراليا إلى الاستعانة بالولايات المتحدة الأمريكية لحمايتها من الغزو المرتقب.

وازداد هذا الاعتماد بعد انهيار الامبراطورية البريطانية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد أحس الاستراليون بالخوف من أن تعمد الدول الآسيوية المجاورة حديثة الاستقلال إلى حل مشكلة تزايد السكان لديها بالاستيلاء على أرضهم. وكانت حكومة المستعمرة قد أوقفت تيار الهجرة الصينية إلى أستراليا منذ

منتصف القرن التاسع عشر، وفرضت قوانين صارمة تهدف إلى الحد من الهجرة الآسيوية ومنع زواج البيض من السكان الوطنيين، بهدف الحفاظ على النقاء العنصرى.

لكن هذه النظرة العنصرية أخذت تتبدل تدريجيًا، ومنحت الحكومة الاسترالية حق المواطنة للسكان الأصليين عام ١٩٦٧، الأمر الذى أتاح للكثير من عشائرهم أن تلجأ إلى القضاء لاسترداد أراضيها التى اغتصبت منها من قبل (انظر كانبيرا). ومع انتشار التعليم أخذت اللغة الانجليزية تنتشر بينهم، وبدأ الكثيرون منهم يتخلون عن أساليب حياتهم البدائية، وهو أمر أثار الكثير من الأسى فى قلوب علماء الأنثروبولوجيا الذين دأبوا على اعتبار أستراليا متحفًا طبيعيًا يستطيعون فيه دراسة الكثير من أساليب الحياة فى العصر الحجرى بصورة مباشرة.

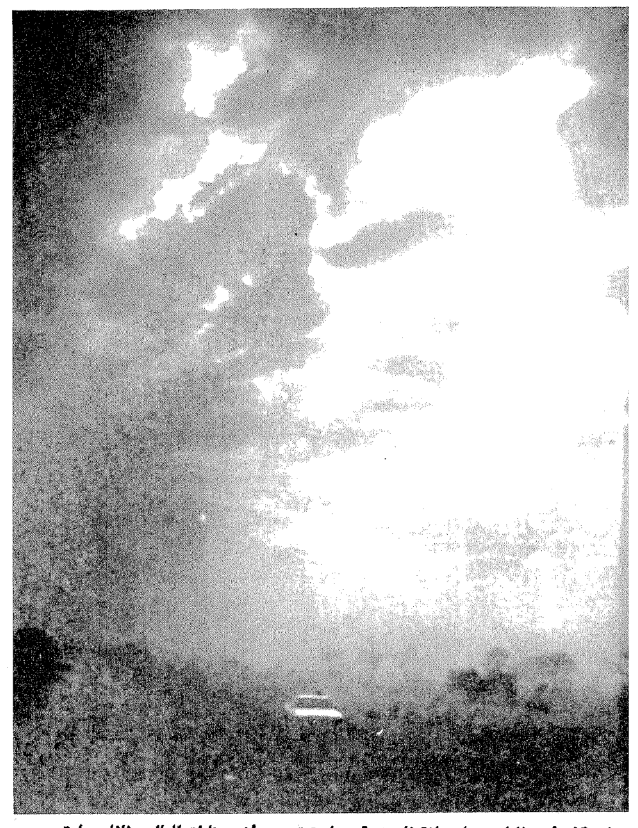
أستراليا عبر المكان

توصف أستراليا أحيانًا بأنها جزيرة عملاقة تقع إلى الجنوب من آسيا التى يفصلها عنها بحر تيمور وجزر أندونيسيا وتطل

سواحلها الشرقية على المحيط الهادئ والغربية على المحيط الهندى، وتقع إلى الجنوب منها جزيرة تسمانيا التابعة لها ودولة نيوزيلندا المستقلة. ويتبع أستراليا جزء من القارة المتجمدة الجنوبية (أنتاركتيكا).

وتعتبر أستراليا من أقدم قارات العالم تكونًا وأشدها عزلة وأقلها ارتفاعًا وأكثرها جفافًا، رغم أن مساحتها ٧٦٨٢٣٠٠ كم مربع، أي أنها تعادل مساحة مصر ٧٫٥ مرات، لكن عدد سكانها يقدر بحوالى ١٧ مليون نسمة، أى أنها أقل قارات العالم من حيث الكثافة السكانية.

ويمكن تقسيم أستراليا من الناحية الجغرافية إلى ثلاثة أقسام، أكبرها الهضبة الصحراوية الغربية التى تشغل ثلثى مساحة البلاد، وهى هضبة مستوية قليلة الارتفاع تنقسم إلى أربع صحروات كبرى هى سمبسون وجيبسون وجريت ساندى وجريت فيكتوريا، وهى مناطق قاحلة تغطيها الرمال الحمراء والكثبان الرملية المتحركة، وتوجد بها مجموعة من البحيرات الجافة التى لا تمتلئ بالماء إلا لأوقات قليلة.



تغطي ثلثي استراليا صحراء جافة ذات تربة حمراء تعتبر من أشد مناطق العالم جفافا وحرارة
ولكنها تبطن ثروة معدنية هائلة جعلت الكثيرين يتكالبون على العيش فيها رغم قسوة مناخها

وظلت هذه المنطقة مجهولة حتى نجح فى عبورها من الشرق إلى الغرب بيرك و ويلز فى عام ١٨٦١، وإن كانت رحلتهما قد انتهت نهاية مأسوية، حيث ضلا الطريق أثناء عودتهما فماتا من الجوع والعطش. وقد بدأ عمران هذه المنطقة مع اكتشاف الذهب فيها فى نهاية القرن التاسع عشر، ومن أشهر مناطق تعدينا كالجورلى.

وتمثل جبال الحاجز العظيم القسم الجغرافي الثانى، وهى سلسلة عظيمة من الجبال تمتد على طول الساحل الشرقى للقارة من كيب يورك حتى بلارات، وطولها ٣٧٠٠ كم، وأعلى قممها كوسيوكو (٢٢٢٨ م)، وتفصل هذه الجبال السهل الساحلى الخصب عن الهضبة الداخلية الجافة، ويعتبر هذا السهل الساحلي من أغزر مناطق أستراليا مطراً، وهو القسم الجغرافى الثالث.

ويمر مدار الجدى فى منتصف القارة، لذا تغلب على مناخها الحرارة، خاصة القسم الشمالى القريب من خط الاستواء، ويتركز السكان فى المنطقة الجنوبية الشرقية حيث تقع أهم مدنها، وهى سيدنى وملبورن والعاصمة كانبيرا. ومعظم السكان من أصل أوربى وبينهم أقليات آسيويه، أما السكان الأصليون فعددهم دون



تلجأ هذه السمكة الصغيرة الماكرة إلى الاختفاء وسط الصخور المرجانية للحاجز المرجانى الكبير لتكمن لضحاياها من الحيوانات المائية الدقيقة

المائتى ألف. وقد أقبل المصريون على الهجرة إلى أستراليا منذ الستينات، وتوجد الآن بها جالية كبيرة حققت الكثير من النجاح وتحظى بالاحترام والتقدير، كما توجد جاليات أخرى من السوريين واللبنانيين والأتراك.

واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية للبلاد، وقد أخذت اللغات المحلية تتراجع اليوم أمامها، وأكثر الديانات انتشاراً هى المسيحية البروتستنتية والكاثوليكية ثم الأرثوذكسية اليونانية والقبطية، وقد دخل الإسلام أستراليا لأول مرة فى القرن التاسع عشر على أقل تقدير عندما استقدمت الحكومة الانجليزية مجموعة من أفراد القبائل الأفغانية لتسيير قوافل الجمال عبر الصحراء الاسترالية، ولكن الوجود الإسلامي ظل محدوداً حتى منتصف القرن العشرين، عندما بدأ المهاجرون المصريون والعرب فى التدفق على استراليا، حيث كونوا جاليات إسلامية هامة.

ومازال الكثير من السكان الأصليين محتفظين بعقائدهم الطوطمية وإيمانهم بالأرواح وتناسخها، ولكن بعض الطقوس البربرية التى أشار إليها الرحالة قد تلاشت الآن فيما يعتقد، فقد زعموا مثلا أن أهل الميت كانوا يقيمون مأدبة رهيبة أثناء طقوس

الجنازة، يقدمون فيها لحم فقيدهم لكى يأكله المشيعون ربما ليمنحهم خصائصه وقوته، ثم يجمعون عظامه ويحشرونها فى جذع شجرة مجوف. وكانوا يعتقدون - فيما زعم - أن الموت الطبيعى ناشئ عن عمل سحرى يدبره أحد خصوم المتوفى، لذلك كانوا يطعمون رجلاً أخرس قطعة من لحم المتوفى حتى يدلهم بقوة السحر عن المتسبب فى الجريمة.

ولكنهم مازالوا يحتفلون بالجنازة بأقامة مجموعة من الرقصات التعبيرية التى تصور بعض أحداث حياتهم، وكذلك ينحتون نصباً خشبية ويلونونها بألوان زاهية إرضاء للأرواح واتقاء لغضبها.

هكذا تجمع استراليا العديد من الديانات، ولكن أهلها جميعًا يعيشون فى سلام بعيداً عن أى تعصب دينى، فالاسترالى بطبيعته متفائل محب للحياة عزوف عن الجدل والصراعات فضلاً عن ارتفاع المستوى الثقافى وانتشار التعليم الذى تدعمه الدولة وتحرص عليه حرصًا كبيرا.

ونظرًا لقلة الكثافة السكانية وتباعد المسافات فانتظام الطلاب فى المدارس فى المناطق النائية، خاصة من يعيشون منهم فى

مزارع تربية الأغنام، ليس بالأمر السهل، لذلك أعدت محطة إذاعية خاصة يمكن منها لهؤلاء الطلاب أن يتابعوا الدروس طيلة العام الدراسى، ثم يتقدموا بعد ذلك للامتحانات، ويطلق على هذا النوع من التعليم « مدرسة الأثير.»

ورغم هذا الاهتمام بالثقافة والتعليم لكن الأستراليين ظلوا حتى وقت قريب لا يهتمون كثيراً بالأحداث خارج قارتهم، ويفضلون عليها متابعة الأنشطة الرياضية، وربما كان لموقع أستراليا النائى أثره فى ذلك، ولكن اتساع القارة ووفرة مواردها الطبيعية وقلة عدد سكانها لم تغن أهلها فحسب عن محاولة التوسع الخارجى، بل جعلتهم كذلك يرغبون فى الابتعاد عن الصراعات الخارجية أو التورط فى مشكلات جيرانهم، وكلها دول مزدحمة بالسكان، قد تجد فى القارة الجديدة متنفساً لها فى التخفف من بعض سكانها.

وظل هذا الخوف مسيطراً علي نفوس الاستراليين ويمنعهم من الانفتاح على جيرانهم حتي بداية السبعينات عندما فاز جف ويتلام، زعيم حزب العمال الأسترالى، برئاسة الوزراء، فانتهج خطًا جديداً يرمى إلى إخراج أستراليا من عزلتها ويدعم علاقاتها مع جيرانها الآسيويين، وألغى سياسة « أستراليا البيضاء » التى

كانت تمنع هجرة الآسيويين إلى أرضها حفاظًا على النقاء العنصرى.

وقد جوبهت سياسته بمعارضة عنيفة من التيارات المحافظة، ولكن المكاسب الاقتصادية الكبيرة التى حققتها استراليا من انفتاح الأسواق الآسيوية الهائلة أمامها، ومن العمالة الآسيوية الدؤوبة الماهرة، كفلت له الانتصار فى نهاية المطاف.

كانبيرا

قد يصعب على المسافر القادم من مدينة مزدحمة كالقاهرة أن يصدق أن كانبيرا عاصمة دولة ناهيك عن أن تكون مدينة من أصله، فحيثما تسير تجد الخضرة والأشجار، أما البيوت فتطل عليك باستحياء من ورائها، وكأنما هى تعتذر عن وجودها وسط هذه الجنة الطبيعية.

ولكنك حينما تتذكر أن كانبيرا هى عاصمة دولة صغيرة لا يزيد عدد سكانها عن سكان مدينة القاهرة الكبرى إلا بقليل بينما هى تشغل مساحة تربو على مساحة مصر بسبع مرات تقريبًا،

فسوف يزول عنك العجب.

وكانبيرا كمبانيها مدينة خجول لا يكاد يعرف اسمها خارج استراليا سوى نفر قليل، فطبيعة الحياة الهادئة فى أستراليا تنأى باسمها عن عناوين الأخبار، ولقد لبثت فترة طويلة اعتقد أن سيدنى هى العاصمة لفرط شهرتها. واعتقد أننى لست الوحيد الذى يعتقد هذا، وقد دهشت حينما علمت أن سيدنى ليست سوى عاصمة ولاية نيوسوث ويلز.

وقيل لى فى تبرير ذلك أن المنافسة كانت شديدة بين مدينتى سيدنى وملبورن (عاصمة ولاية فيكتوريا) على أن تكون عاصمة استراليا حينما تألف الكومنولث أو الاتحاد الاسترالي عام ١٩٠١، وأهل سيدنى متعصبون لمدينتهم، وكذلك أهل ملبورن، فإذا علم الواحد منهم أنك قادم من المدينة الأخرى فسيسألك عن رأيك في مدينته ثم عن رأيك فى المدينة الأخرى وأيهما أفضل، فإن أجبته بحسن نية « أنها المدينة الأخرى » فقد يغضب لذلك.

ورأت الحكومة الاتحادية أن تختار موقعًا وسطًا فى الداخل بعيدًا عن شاطىء البحر، واستقر الرأى على وادى كانبيرا الذى

يبعد عن سيدنى حوالى ٣٠٧ كم وعن ملبورن ٦٥٥كم، وهى ليست بالمسافات البعيدة فى العرف الاسترالى، فسيدنى تبعد مثلاً عن مدينة داروين عاصمة منطقة نورذرن تريتوري ٤١٣٩كم.

وكانبيرا كلمة أسترالية قديمة قيل لى إن معناها « النهد » وقيل لى أيضا إنها تعنى « نقطة الالتقاء »، وهو اسم مناسب لعاصمة دولة تتألف من عدد من الولايات (كوينزلاند وعاصمتها بريسبين ونيوسوث ويلز وعاصمتها سيدنى وفيكتوريا وعاصمتها ملبورن ونورذرن تريتورى وعاصمتها داروين وسوث أستراليا وعاصمتها أدليد ووسترن أستراليا وعاصمتها بيرن وتاسمينا وعاصمتها هوبرت).

وتصميم المدينة فريد حقًا، أقل ما يوصف به انه عبقرى، فهو يمزج بين الطبيعة والعمارة حيث يقسم المدينة إلى أحياء تحيطها الأشجار والحدائق، ولكل حى منطقته التجارية وبه المدارس والمرافق اللازمه له فكأنما هو مدينة صغيرة. أما قلب المدينة فتشغله بحيرة صناعية أقيمت فى عام ١٩٦٣ وأسميت على اسم مصمم المدينة برلى جريفين، وهو مهندس أمريكى وليس أستراليا.

ووجود بحيرة بهذا الحجم وسط مدينة قد يدهش البعض ولكنه أمر مناسب تماماً للمزاج الأسترالى، فالاسترالى شغوف بالرياضة بكافة أنواعها، لاسيما الرياضات المائية، وهو أمر طبيعى فى دولة لها من الشواطئ ما لاستراليا، وحيث ظل المحيط هو الطريق الوحيد الذى يربطها بالعالم حتى وقت قريب.

وتستغل هذه البحيرة فى إقامة الاحتفالات والمسابقات الرياضية ومن أطرفها سباق الأطواف العائمة، حيث يستخدم المتسابقون الطوف المصنوع من المطاط المنفوخ بدلاً من الزورق العادى.

وقد طور الأستراليون رياضات أخرى، فكرة القدم مثلاً تنقسم فى أستراليا إلى أربعة أنواع، كرة القدم العادية وكرة القدم الأمريكية والرجبى ثم كرة القدم الأسترالية أو الفوتى (وهو اختصار لكلمة فوت بول الانجليزية). ويقال إن المهاجرين الأيرلنديين الذين عملوا فى مناجم الذهب فى منتصف القرن الماضى هم الذين ابتكروها. وهى تجمع بين عناصر مختلفة لأنواع كرة القدم السابقة، وملعبها بيضاوى تماماً، ومساحته أكبر من مساحة ملعب الكرة العادى، ويتألف كل فريق من ١٨ لاعباً يستخدمون الأرجل والأيدى لقذف الكرة بين قائمين مثل كرة القدم،

ولكن الكرة بيضاوية ولايوجد حارس للمرمى، والفريق الفائز هو الذى يحرز ست نقاط أو ستة أهداف فى مرمى الخصم، ولكن هذا ليس بالأمر السهل، فاللعبة خشنة وقانونها يبيح استخدام القوة لمنع الخصم من التسديد.

والبحيرة تقسم قلب المدينة إلى شطرين، الشمالى منهما يضم المتاجر الرئيسية والمرافق العامة والجامعة وبعض المراكز العلمية، أما الوزارات فتقع فى القسم الجنوبى الذى يتوجه مبنى البرلمان الجديد الذى هو فى ذات الوقت مقر الحكومة.

وقد افتتحت الملكة اليزابيث الثانية، ملكة بريطانيا، هذا البرلمان بوصفها أيضًا ملكة أستراليا، فاستراليا كما ذكرنا من قبل مازالت من الناحية النظرية مملكة، ومازالت تعتبر العاهل البريطانى ملكها. ولكن اسمها ليس المملكة الأسترالية، بل الكومنولث أو الاتحاد الأسترالى. وهو وضع غريب حقًا، ولكنه يتفق مع الطبيعة المحافظة للشعب الأسترالى الذى ورثها من أسلافه الانجليز.

والأستراليون فى واقع الأمر هم شعب وسط بين الانجليز

والأمريكيين، فهم أخذوا النظام الفيدرالى (الاتحادى) من من الولايات المتحدة، وأخذوا من انجلترا النظام الملكى البرلمانى، الذى يرأس فيه الحكومة رئيس الوزراء، الذى يفوز حزبه بأغلبية مقاعد البرلمان. والبرلمان ينقسم إلى مجلسين، أحدهما للنواب مثل مجلس العموم البريطانى وآخر للشيوخ على غرار السنتو الأمريكى أو مجلس اللوردات البريطانى.

والحزبان الرئيسيان اللذان يتنافسان على الحكم هما «المحافظون» و « العمال » (أو إذا شئنا الدقة « العمل ») مثل انجلترا، وحزب العمال أكثر تحرراً، وكما ذكرنا من قبل كان هو الحزب الذى ألغى سياسة « أستراليا البيضاء » فى مطلع السبعينات وبدأ سياسة الانفتاح علي الجيران الآسيويين.

ورغم اتساع مساحة المدينة (١٨٠٠ كم مربع) لكن عدد سكانها لا يزيد على ٣٠٠ ألف نسمة، والسبب فى ذلك أنها مركز للحكم والإدارة على غرار واشنطن العاصمة الأمريكية أما النشاط الاقتصادى والصناعى فيتركز فى المدن الأخرى وأهمها ملبورن وسيدنى وأدليد وغيرها، وحسناً فعلوا حتى يحافظوا على نقاء هذه المدينة البديعة.

وعوضاً عن المصانع تزدان المدينة بمجموعة من المتاحف الفنية على رأسها المتحف الوطنى الذى يضم مجموعة كبيرة من أعمال الفنانين الأستراليين. ورغم أن عمر أستراليا لا يزيد كثيراً على قرنين، لكنها تنعم بحركة أدبية فنية ناضجة راقية، وإن كانت تستمد جذورها بطبيعة الحال من تقاليد الفنون والآداب الأوربية. وقد بدأ الاستراليون بالمحاكاة وتأثروا بالمدرسة التأثيرية الفرنسية فى القرن التاسع عشر التى كانت ترى أن علي الفنان أن يخرج إلى الطبيعة ليصورها وفقًا لأنعكاسات الضوء عليها.

وتتميز اللوحات التأثيرية بميزة خاصة، فعندما تشاهد اللوحة من قرب تبدو خليطًا عجيبًا من البقع الملونة، ولا تتضح تفاصيل الصورة إلا إذا شاهدتها عن بعد. والسبب فى هذا أن الفنان لا يمزج ألوانه فى « البليته » قبل إضافتها للوحة، بل يمزجها فى عين المشاهد، فهو إذا أراد أن يلون مساحة باللون الأخضر، يضع الألوان الأصلية التى يتألف منها هذا اللون المركب وهي الأزرق والأصفر في هيئة بقع صغيرة متجاورة.

وقد أحدث هذا الأسلوب ثورة حين ظهوره في فرنسا وفتح الباب أمام تيار التجريب الذى ازدهر في القرن العشرين وأفرز

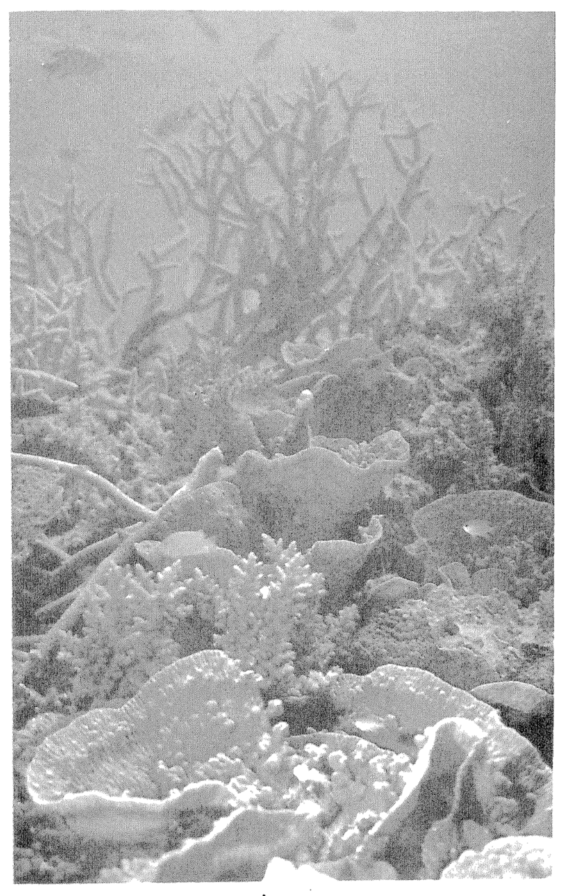
أشهر المدارس الفنية الحديثة ومنها التجريدية والتكعيبية والسريالية.

وازدهرت في استراليا فى القرن التاسع عشر مدرسة فنية عرفت باسم هيدلبرج، وهو اسم قرية صغيرة كان يتجمع فيها المصورون التأثيرون الأستراليون، ومنهم توم روبرتس (١٨٥٦-١٩٣١) وتشارلز كوندر (١٨٦٨-١٩٠٩)، وقد أقاموا معرضاً طريقاً فى عام ١٨٨٩ تحت عنوان « المعرض التأثيرى ٩ × ٥، و ٩ × ٥ بوصة هو مقاس أغطية علب السيجار التى رسموا عليها لوحاتهم التأثيرية.

وقد تطور الفن الأسترالى فى القرن العشرين ليواكب التيارات الفنية الحديثة، وإن كان الميل إلى التجريد أقل والشغف بتصوير المناظر الطبيعية أشد لدى الفنانين الأستراليين عن غيرهم من الفنانين الأوربيين، وربما كان لاختلاف المناخ أثره فى ذلك، إذ أن برودة أوربا وأمطارها وثلوجها تجعل ممارسة التصوير فى أحضان الطبيعة مغامرة فى كثير من فصول السنة، بينما دفء المناخ الاسترالى يشجع على الخروج إلى الطبيعة.

البحيرة الصناعية فى قلب مدينة كانبيرا

شواطىء المحيط الهندى على الساحل الغربى لأستراليا



تنمو الصخور البركانية على قاع البحر وتتجمع حولها الأسماك والقواقع
والنباتات البحرية فتؤلف غابات ساحرة



تحفل منطقة الحاجز المرجانى العظيم بالعديد من الكائنات البحرية الغريبة ومنها
هذه الأسماك الملونة المعروفة بالشراسة مع أبناء جنسها



تعد أستراليا متحفا نباتيا طبيعيا عظيما يحفل بالنباتات والأعشاب الغريبة النادرة

الطريق إلى سيدنى والجبال الزرقاء

يطلق الأستراليون على المناطق الداخلية اسم « البوش » وهى كلمة تعنى « الدغل » أو « شجيرة » ولكنها تستخدم مجازاً لوصف هذه الاقاليم الشاسعة مثلما نستخدم نحن فى مصر كلمة الأرياف لوصف الأقاليم خارج القاهرة والأسكندرية.

وتقع سيدنى مثل كانبيرا فى الجزء الجنوبى الغربى للقارة، وسيدنى عاصمة ولاية نيوسوث ويلز التى تعتبر أغنى ولايات أستراليا، ورغم أن مساحتها تكاد تعادل مصر (٨٠٠ ألف كم مربع) لكن عدد سكانها يقدر بحوالى ٦ ملايين نسمة، أى ثلث سكان أستراليا .

وأرض هذه الولاية خصبة ومناخها مطير، ولقربها من ساحل البحر ووقوعها إلى الجنوب من مدار الجدى يتميز مناخها بالاعتدال، لاسيما فى المناطق الساحية والمرتفعات الغربية، التى تؤلف جزءاً من سلسلة جبال الحاجز العظيم، وأشهرها الجبال المعروفة باسم الجبال الزرقاء (١١٨٠ م).

وقد عرفت هذه الجبال بهذا الاسم العجيب نتيجة للضباب الذى يكتنف غاباتها المرتفعة فتبدو للناظر من بعيد كما لو كانت زرقاء اللون. وتشتهر هذه المنطقة بكهوفها الصخرية التى تمتد لمسافات بعيدة فى أعماق الجبال. وقد نحتتها الطبيعة فى أشكال عجيبة حيث تتدلى من السقف وتبرز من الأرض ابر صخرية متكلسة من الرواسب الجيرية، وتجرى فى هذه الكهوف أنهار باطنية وبها بحيرات واسعة، وبخار الماء يؤدى إلى تحلل الصخور وذوبان الأملاح الجيرية التى تترسب على الأرض أو تتجمع فى مناطق علوية على السقف فتشكل تلك الأبر العجيبة.

كما توجد بها تكوينات أخرى تعرف « بالشيلان » لأنها تتألف من كتل مجزعة تبدو كما لو كانت أهدابًا تتدلى من طرف ثوب أو شال، ومنها الأبيض ومنها الأحمر المكتسب من أكاسيد الحديد. ومما يزيد فى روعتها الأنوار الكهربائية المثبتة فى الأركان بحيث تبرز تلك التكوينات الصخرية البديعة. وتوجد في المنطقة مغارة تعْرف باسم المغارة الشرقية لأنها تحتوى على ثلاث قاعات تعرف بالقاعات الهندية والفارسية والمصرية، والسبب فى هذه التسميات العجيبة أن التكوينات الصخرية فيها تتخذ أشكالاً تشبه أبراج

المعابد البوذية (الباجودات) والمآذن الفارسية والمومياوات المصرية، وتعبر هذه التسميات عن تعلق الأستراليين بالماضى، وبمحاولة تأصيل تراثهم، أو بمعنى أصح إيجاد تراث قديم لهم.

وربما كان هذا هو الداعى الآن إلى اهتمامهم بفنون السكان الأوائل ورسومهم الصخرية الساذجة التى كانوا يتركونها فى أماكن عبادتهم المقدسة ويصورون عليها أساطيرهم. وكان الأستراليون القدماء يستخدمون ألوانًا بدائية من الحجر الجيرى للون الأبيض والمغرة الحمراء والصفراء للونين الأحمر والأصفر والكربون أو السناج للون الأسود. وقد دفع هذا الاهتمام الذى يبديه الأستراليون المحدثون بذلك النوع من الفنون الكثير من أبناء القبائل الأصلية إلى احتراف الصناعات الفنية والهدايا التذكارية.

وأشهر أشجار أستراليا الكافور أو اليوكالبتوس، وأستراليا هى الموطن الأصلى لهذه الشجرة العطرية، ويعيش عليها نوع من الدببة الصغيرة يعرف باسم الكولا، وهو كالكنجارو يحمل صغاره فى كيس، ولا يأكل سوى أوراق الكافور، ومن المشهور أن رائحة الكافور تبعد الحشرات، ولذا ففراء هذا الدب نظيف يخلو من الطفيليات، وقد اصطيدت منه أعداد كبيرة فى الماضى حتى أوشك

على الأنقراض، ولكن سنت اليوم القوانين لحمايته.

وتنتشر على الطريق مزارع تربية الأغنام وأشهرها أغنام الرينو ذات الأصواف الناعمة، وتعتبر أستراليا أكبر منتج ومصدر للصوف فى العالم، ولكن أشهر الحيوانات الأسترالية هو الكانجارو، الذى يتحرك فى قطعان صغيرة وسط مراعى الأغنام. والكانجارو أنواع مختلفة، منها ما قد يصل ارتفاعه إلى مترين ومنها ما لا يزيد طوله عن ٣٥ سم ويعرف هذا النوع الصغير باسم « الولابى » ويتميز بعنقه الأحمر.

والكانجارو حيوان قوى يمكنه أن يعدو أو يثب بمعنى أصح بسرعة ٧٠ كم فى الساعة، ويساعده ذيله الطويل على حفظ توازنه فى القفز، وعندما يشعر بالخطر يخفض رأسه وصدره إلى أسفل ليشكل مع ساقيه المرتفعتين شكل رقم (٦) العربى، ثم يقفز إلى الأمام فى وثبات سريعة فيعلو الذيل وينخفض ليحفظ له توازنه، وتبدو حركاته رشيقة مثيرة.

وعندما تنجب الأم صغيرها، تحفظه فى كيس ملاصق لبطنها لمدة ٣٠ أسبوعًا، وهى فترة الرضاعة. ورغم أن هذا الكيس

هو أشهر ملامح هذا الحيوان، لكنه في الواقع ليس الحيوان الوحيد الذى يحتفظ بصغاره فى كيس بطنى، فمثله فى الدنيا ٢٦٦ نوعًا من الثدييات نصفها يعيش فى أستراليا.

ومن طيور أستراليا العجيبة الكوكابورا أو الطائر الضاحك، وهو نوع من طيور القاوند *(Kingfisher)* له صوت يشبه الضحكة وينطلق هكذا كاكاكاهو، ويعيش هذا الطائر فى المناطق المدارية من أستراليا وغينيا الجديدة، وغذاؤه من الحشرات والقوارض الصغيرة ويقال إنه يفتك بالثعابين، وأنه ينقض على الثعبان إذا رآه ويحمله بين ساقيه إلى أعلى ثم يلقيه على الأرض حتى يموت ويلتهمه بعد ذلك.

سيدنى

فى ٢٦ يناير ١٧٨٨ وصل الفوج الأول من المستوطنين الذين أرسلتهم الحكومة البريطانية لتعمير القارة الجديدة التى اكتشفها كوك قبل ذلك التاريخ بثمانية عشر عامًا. ولكن هؤلاء المستوطنين لم يكونوا فى واقع الأمر سوى مجموعة من السجناء التعساء الذين

قررت بريطانيا التخلص من شرورهم بإرسالهم إلى تلك الأرض النائية التى لم يقبل رعاياها من المواطنين الأحرار على السكنى فيها لبعدها ووحشتها.

واختار قائد الأسطول الذى حملهم إلى الساحل الجنوبى الغربى لأستراليا خليجًا صغيراً بالقرب من خليج بوتانى الذى رست فيه سفينة كابتن كوك من قبل. ورأى بثاقب فكره أن هذا الخليج الجديد يصلح لأن يكون مرفأ طبيعيًا، فقرر أن يقيم على شاطئه أول مستعمرة بريطانية فى أستراليا، واطلق على الخليج اسم سيدنى على اسم رئيس وزراء انجلترا آنذاك.

من هذه البداية المتواضعة نشأت مدينة سيدنى التى كان من المقدر لها أن تصبح أحد أكبر وأعظم الموانئ البحرية فى العالم. وتحتفل أستراليا في كل عام بذكرى تأسيس مدينة سيدنى باعتباره عيداً وطنيًا لها.

ويبلغ عدد سكان سيدنى ٣٫٥ مليون نسمة أى خمس سكان أستراليا تقريبًا، فهى ميناء أستراليا الأول، وهي فى ذات الوقت تنافس ملبورن على لقب العاصمة الاقتصادية والصناعية للبلاد، ولكنها تنفرد بلقب العاصمة الفنية.

وتعلن سيدنى عن عشقها للفنون بأسلوب مبتكر، فأول ما يشهده الزائر القادم من البحر إلى مرفئها فى خليج جاكسون قوقعة بحرية عملاقة بيضاء اللون، وهى الشكل الذى اختاره المهندس الدانماركى يورن أوتسون لتصميم أوبرا مدينة سيدنى التى افتتحت عام ١٩٧٣، وكلفت حكومة المدينة مبلغًا باهظًا يزيد على المائة مليون دولار أمريكى، أى حوالى ثمن تكلفة بناء السد العالى فى مصر الذى بنى فى نفس الفترة تقريبًا.

وولع سيدنى بالمشروعات الضخمة قديم، فبالقرب من دار الأوبرا يقع جسر جليج جاكسون الذى يعد من معجزات عمارة القرن العشرين، فهذا الجسر المعدنى يرتفع عن مياه الخليج حوالى ١٣٤ مترًا، واتساع فتحته يزيد قليلاً على ٥٠٠ متر، وعليه يعبر خط للسكك الحديدية غير المساحات المخصصة للسيارات والمارة، وقد بنى هذا الجسر عام ١٩٢٣ واستغرق بناؤه حوالى عشر سنوات، وتكلف حوالى ١٠ ملايين جنيه استرلينى ولكى تدرك مدى ضخامة هذا المبلغ آنذاك يكفى أن تعلم أنه كان يعادل خمس قيمة صادرات أستراليا بأسرها من الصوف (بترول أستراليا) فى ذلك الحين.

كذلك يباهى أهل سيدنى بأنهم يملكون أعلى منشأة فى منطقة المحيط الهادئ، وهى برج مدينتهم الذى يزيد ارتفاعه قليلاً عن ٣٠٠ متر، أى حوالى ضعف ارتفاع الهرم الأكبر فى مصر.

ولا يتوانى أبناء سيدنى عن المساهمة فى إقامة تلك المشروعات الضخمة التي ترفع اسم مدينتهم عاليًا، وقد قيل مثلاً إن الجانب الأكبر من الأموال اللازمة لبناء دار الأوبرا مثلاً قد جاءت من يانصيب وطنى، وهو أمر قد يمكن الانتفاع به في بلدنا لإقامة بعض المشروعات الحيوية.

ومن قمة البرج يمكن للزائر أن يرى بانوراما بديعة للمدينة التى يعانقها البحر من كل اتجاه تقريبًا ويخترقها بثلاثة خلجان أوسطها خليج جاكسون الذى تطل عليه دار الأوبرا ويعبره الجسر الشهير، وفى الجانب الشمالى خليج « بروكن جلف »، أما إلى الجنوب فيقع خليج بوتانى الشهير.

أما خليج سيدنى القديم فهو متفرع من خليج جاكسون ويقع الآن عند الطرف الشرقى لجسر جاكسون الشهير، ويمثل هذا الجزء أقدم أحياء المدينة، وأكثرها أصالة، وقد حافظ أبناء سيدنى

على الكثير من دوره القديمة التى بنيت بالطراز المعروف باسم « الكولونيال » أو طراز المستعمرات، وهو الطراز الذى ألف الانجليز بناءه فى مستعمراتهم الشرقية، ويتميز بشرفاته البديعة التى يزينها الخشب المخروط أو الحديد المشغول.

وإلى الغرب من خليج جاكسون تقع منطقة « الستى » أو قلب المدينة، أو حى الأعمال والتجارة، ويتميز بمبانيه الحديثة العالية المقامة على النمط الأمريكى.

وكثيرًا ما تقارن سيدنى بشقيقتها سان فرانسيسكو فى الولايات المتحدة على الطرف الآخر من المحيط الهادئ. ولكن أبناء سيدنى يؤمنون بتفوق مدينتهم، ولكنهم لا ينكرون وجه الشبه بين شوارع المدينتين، فكلتاهما مقامة على أرض جبلية غير مستوية، ولذلك تصعد الشوارع وتهبط فى منحدرات حادة قد تثير الفزع فى نفس قائد السيارة إذا كان غريبًا عن المنطقة.

ومن أشهر معالم المدينة حديقة النباتات، وشهرة هذه المنطقة بكثافة غطائها النباتى وتنوعه هى التى أعطت لخليج بوتانى اسمه (خليج النباتات). وينتشر هذا النوع من الحدائق فى المدن

الأسترالية، وتعتبر الحديقة فى حد ذاتها متحفًا للتعرف على الأنواع الغريبة من نباتات المناطق الحارة والاستوائية.

ملبورن

إلى الجنوب من ولاية نيوسوت ويلز تقع ولاية فيكتوريا أصغر ولايات الاتحاد الأسترالى بعد تسمانيا.

ولكنها على صغرها هذا تكاد تعادل مساحة بريطانيا العظمى دون أيرلندا، فمساحتها ٢٢٧٦٠٠ كيلومتر مربع، وعدد سكانها ٤ر٥ ملايين نسمة، أى ربع سكان أستراليا تقريبًا، وهى بهذا أعلى المناطق الاسترالية من حيث الكثافة السكانية، وهو مثال حى يوضح مدى الامكانات الكامنة فى هذه القارة، إذا علمنا أن عدد سكان بريطانيا حوالى ٥٧ مليون نسمة.

وتقع أراضى ولاية فيكتوريا بين خطى عرض ٣٩ و ٣٤ جنوبيًا، ولذلك فهى تتمتع بمناخ شديد الحرارة فى الصيف فقد تصل الحرارة فى الظل فى شهر يناير إلى ٤٠ درجة مئوية، وليس شهر « يناير » خطأ مطبعيًا، فقارة أستراليا تقع فى النصف



متحف مدينة بالارات الذى يصور الحياة فى المدن الأسترالية
وقت اكتشاف الذهب فى القرن التاسع عشر

الجنوبى للكرة الأرضية، ومن ثم فالفصول فيها تسير على عكس الفصول لدينا، فعندما تتعامد الشمس على مدار الجدى عندهم تنخفض درجة الحرارة عندنا فيكون الشتاء وترتفع درجة الحرارة

لديهم فيكون فصل الصيف، أما حينما تتعامد الشمس على مدار السرطان ويشتد الحر عندنا، تنخفض درجة الحرارة لديهم فيكون الشتاء، أي أن شتاءهم يبدأ في يونيو.

ولكن حظهم في الشتاء ليس أسعد من الصيف، فمن المتوقع إذا كانت الحرارة بهذه الشدة في صيف يناير أن يكون شتاء يوليو دافئًا، ولكن لا تنس أن سواحل فيكتوريا تطل على المحيط الجنوبي الذي يمتد حتى سواحل القارة الجنوبية المتجمدة، أبرد أجزاء الأرض. ومن ثم تشهد السواحل أعاصير مطيرة باردة في فصل الشتاء. فما الذي دفع إذن السكان إلى التكاثر في هذه الأرض إلى هذا الحد ؟

كان لهذا التباين المناخي القاسي أثر نافع في نمو النشاط الزراعي هناك، إذ أن أرض هذه الولاية تصلح في آن واحد لزراعة محاصيل المناطق الحارة وكذلك الباردة، فضلاً عن خصوبة أرض هذا الاقليم ووفرة أمطاره وتحدد انهارها، وأشهرها نهر ماري الذي يمثل الحد الفاصل بينها وبين ولاية نيون سوث ويلز.

وقد قدم المستوطنون الأوائل إليها من جزيرة تسمانيا



متحف مدينة بالارات.. اثنان من المستكشفين يصفون الذهب من الماء

الواقعة جنوب غرب استراليا، وكان ذلك بعد حوالى ٤٠ عاماً من تأسيس مدينة سيدنى. ففى عام ١٨٣٥ أسس جون باتمان وجون باسكو مستعمرة صغيرة على مصب نهر يارا. وسميث ملبورن على اسم رئيس وزراء بريطانيا (مثل سيدنى) وظلت مجرد مدينة

ريفية ساحلية حتى اكتشف الذهب بالقرب منها فى عام ١٨٥١.

وخلال السنوات التالية أخذت المدينة تنمو وتتسع مع تدفق المهاجرين عليها حتى نافست سيدنى كمركز هام للصناعة والتجارة ومعقل للثقافة، حتى أن البعض يعتبرها العاصمة الثقافية لأستراليا. وقد اختيرت بعد تأسيس الاتحاد الفيدرالى كعاصمة مؤقتة لاستراليا لحين الانتهاء من بناء كانبيرا (١٩٠١-١٩٢٧).

وتشتهر ملبورن بالصناعات الهندسية وصناعة النسيج والورق والكيماويات والسيارات وبناء السفن، كما أن بها ثلاث جامعات، تأسست أقدمها عام ١٨٥٥. ويعتبر ميناؤها (بورت فيليب) أكبر موانئ الشحن فى استراليا. وتعتبر ملبورن ثانى مدن أستراليا من حيث عدد سكانها إذ يبلغ تعدادهم حوالى ثلاثة ملايين نسمة، أى أقل بقليل من عدد سكان سيدنى.

والمنافسة بين سيدنى وملبورن قديمة كما ذكرت، ولكن أهالى ملبورن لا يستطيعون إنكار أن مدينة سيدنى هى أقدم من مدينتهم، لذلك فقد حرصوا على شراء البيت الريفى الذى ولد فيه كابتن كوك فى انجلترا، ونقلوه إلى مدينتهم، وأعادوا بناءه فى أحد

متنزهاتهم (فيتزوى جاردن) وهو منزل ريفى صغير، لكنه يمثل للأستراليين كعبة يتوافدون إليها تحية لذكرى ذلك الرجل الذى خاطر بحياته من أجل أن يكشف لهم عن هذه الجنة الأرضية.

ومن المزارات التاريخية الهامة فى المدينة نصب الجندى المجهول الذى أقامته الحكومة الأسترالية لشهداء الحرب العالمية الأولى حينما كانت ملبورن عاصمة الاتحاد. وهو مدرج ضخم يؤدى إلى بهو أعمدة تعلوه قبة أعدت فيها فتحة خاصة تدخل منها الشمس الساعة الحادية عشرة يوم الحادى عشر من نوفمبر لكى تضئ الضريح الذى كتبت حوله أسماء الضحايا بماء الذهب.

ويسقط الثلج فى فصل الصيف على جبال الحاجز العظيم التى تفصل ولاية فكتوريا والسهل الساحلى عن الهضبة الصحراوية الداخلية. وتكسو الثلوج المرتفعات التى تعرف فى هذه المنطقة باسم جبال الألب الأسترالية، وهى وإن كانت لا تقارن فى ارتفاعها بجبال الألب السويسرية، لكنها أعلى الجبال فى أستراليا. وتتيح هذه الثلوج الفرصة لممارسة رياضة التزحلق على الجليد. وقد أقيمت الكثير من القرى السياحية هناك لاستقبال هواة هذه الرياضة.

أما فى فصل الصيف فيقبل السائحون كذلك على تلك المناطق للاستمتاع بجمال طبيعة هذه الجبال التى تغطيها أشجار الكافور وممارسة بعض الرياضات المائية المحببة للاستراليين مثل سباق الأطواف أو الزوارق فى المجارى المائية.

ويعرف الجزء الشمالى من منطقة جبال الألب الأسترالية بجبال الثلج أو « سنوى مونتن »، وقد أقيم بهذه المنطقة مشروع هائل لتوليد الكهرباء وتخزين مياه الرى، ويتألف هذا المشروع من ١٦ سداً مائياً وعدد من الأنفاق والقنوات المائية الضخمة التى تغطى مساحة تقدر بحوالى ألفى كيلو متر مربع، ويولد هذا المشروع ٣ر٧ مليون كيلو وات من الطاقة الكهربائية التى يغذى بها مدينتى سيدنى وملبورن.

وفى تلك المنطقة يقع أعلى جبال أستراليا وهو جبل كوسيسكو (٢٢٢٨ م) الذى تكسو الثلوج قمته المستديرة حتى فصل الربيع.

وعلى بعد مائة كيلو متر تقريباً شمال مدينة ملبورن تقع مدينة بالارات التى كان اكتشاف الذهب فى أرضها عام ١٨٥١

نقطة تحول فى تاريخ المستعمرة، فبعد أن كانت منفي للتخلص من الخارجين على القانون والثوار الأيرلنديين أصبحت قبلة للباحثين عن الثراء والنجاح. وقد استخرج من أرض هذه المدينة حتى عام ١٩١٨ حوالى ٦٣٠ طنًا من الذهب.

وقد نفد الذهب الآن، وأغلق آخر منجم عام ١٩١٨، ولا يزيد عدد سكانها على ٨٠ ألف نسمة يعتمدون على الاتجار فى الصوف وصناعة الأقمشة الصوفية. وقد احتفظت المدينة بطابعها اقديم، فمنازلها مقامة على الطراز الفيكتورى وتزدان باشرفات البديعة المزينة بالحديد المشغول.

وقد أقام أهلها عام ١٩٧٠ متحفًا فى الهواء الطلق يصور مدينتهم القديمة في عصر اكتشاف الذهب بشوارعها وبيوتها وحاناتها، وبه تماثيل تصور السكان والباحثين عن الذهب بملابسهم الأصلية وهم يتجولون بمركباتهم التى تجرها الجياد فى شوارع المدينة، أو وهم يعزفون الموسيقى ويرقصون على نغماتها، أو وهم منكبون على ترشيح الذهب من مياه الأنهار.

بريسبين

تحتل ولاية كوينز لاند الركن الشمالى الشرقى من أستراليا وتبلغ مساحتها مليونا و٧٠٠ ألف كيلو متر مربع وتعرف هذه الولاية باسم ولاية الشمس المشرقة لأن مدار السرطان يمر بها، ومن ثم فمناخها مدارى شديد الحرارة غزير المطر، ويستمر هطول الأمطار على الأجزاء الشمالية من شهر ديسمبر حتى شهر مارس (الصيف) أما الجزء الجنوبى فأكثر جفافًا، وتهطل أمطاره فى فصل الشتاء.

وتقسم جبال الحاجز العظيم أرض هذه الولاية إلى قسمين، الشرقى منهما تغطيه الغابات الاستوائية الرطبة التى تشتد كثافتها فى الشمال، أما القسم الغربى فهو سهل واسع يشبه أراضى البرارى الأمريكية. وتكسوه حشائش السافانا وأشجار الكافور، وتستغل أرضه كمرا ع غنية لتربية الماشية.

أما السهل الساحلى فقد أزيلت معظم غاباته، وتستغل أرضه فى زراعة محاصيل المناطق الحارة لاسيما قصب السكر. وتشتهر المنطقة الشمالية منه المعروفة باسم كيب يورك والتى تكاد تلامس

الساحل الجنوبى لغينيا الجديدة برسومها الصخرية التى تركها السكان الاستراليون الأوائل.

ورغم وفرة الموارد الطبيعية واتساع أرض هذه الولاية لا يزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة ثلثهم تقريباً يعيشون فى عاصمتها مدينة بريسبين التى تقع إلى أقصى الجنوب، بالقرب من المنطقة المعروفة باسم الخليج الذهبى (جولد كوست).

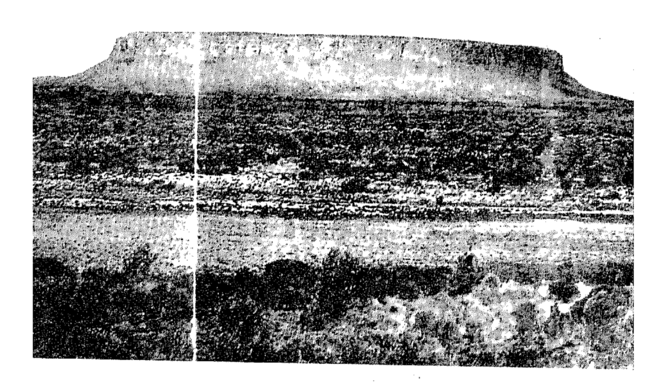
وقد تأسست بريسبين عام ١٨٢٤ على ضفة النهر الذي يحمل اسمها، وكانت فى الأصل مستعمرة للسجناء لا يرسل إليها إلا عتاة المجرمين ليكدحوا فى العمل تحت شمسها. ولكن ثراء هذه الاقليم ووفرة موارده الطبيعية اجتذبت إليه المهاجرين، فأغلقت مستعمرة السجناء عام ١٨٣٩، وتحولت المدينة إلى عاصمة ولاية كوينزلاند عندما انفصلت عن ولاية نيوسوث ويلز.

ويضاف إلى هذه الموارد الطبيعية الوفيرة مورد آخر لا يقل أهمية عنها، وهو السياحة، فتلك الولاية تمتلك منطقتين من أهم مناطق الجذب السياحى فى العالم، وهما الحاجز المرجانى الكبير الذى يلحق أحيانا بعجائب الدنيا السبع والخليج الذهبى الذى

يعتبر جنة عشاق رياضة التزحلق على الماء.

ولا يبعد هذا الخليج عن بريسبين أكثر من ساعة بالسيارة، وتشتهر شواطئه برمالها البيضاء الناعمة. ويقصده فى كل عام حوالى ثلاثة ملايين سائح للاستمتاع بالرياضات المائية. أما الحاجز المرجانى الكبير فيمتد بحذاء الساحل الشمالى الشرقى لمسافة ٢٢٠٠ كم وبعرض قد يصل إلى ٩٥٠ كم، وهو بذلك أكبر تجمع للجزر المرجانية فى العالم، وقد أعاق المستكشف الفرنسى بوجيفيل عن الوصول إلى استراليا كما ذكرنا من قبل.

والمرجان حيوان بحرى بدائى يعيش فى مستعمرات ضخمة فى المناطق التى يتوافر فيها شرطان أساسيان دفء المياه وصفاؤها لنفاذ أشعه الشمس. ومعظم أنواعه لا تعيش فى المناطق التى يزيد عمقها على ٥٠ مترًا. ويفرز هذا الحيوان مادة كلسية يبنى بها حول جسمه درقة أو بيتًا لا يخرج منه إلا فى الليل لكى يقتنص فرائسه من الحيوانات الدقيقة العالقة بالماء. وعندما يموت تبني الحيوانات الجديدة بيوتها فوق بيته، وبذلك تتراكم طبقات كلسية صلبة على سطح قاع البحر وتبرز فى هيئة صخور ضخمة يمكنها أن تمزق بدن أعتى السفن الحديدية.



صخرة أيرز

وتبرز بعض صخور هذا الحاجز المرجانى فوق سطح البحر فتؤلف مجموعة من الجزر تبلغ فى مجموعها حوالى ٦٠٠ جزيرة. ومعظمها غير مسكون، ولكن بعضها يستغل كشواطئ سياحية يأتى إليها هواة الغوص للاستمتاع بحدائق الأعماق التى تؤلفها

الصخور المرجانية بألوانها البديعة التى تفترش مساحة تربو على المليون كيلو متر مربع.

ولكن صخور المرجان ليست ملونة فى الحقيقة، وإنما تستمد ألوانها من الكائنات الدقيقة التى تعيش عليها فى تكافل رائع مع حيوانات المرجان التى تستمد منها الغازات الكربونية التى تعيش عليها وتمكنها من إفراز الأحماض الأمينية والمواد السكرية التى تقدمها بدورها للحيوانات المرجانية لكى تساعدها على إفراز المواد الكلسية التى تصنع منها صخورها.

الأراضى الشمالية

تقع إلى الغرب من كوينزلاند منطقة الأراضى الشمالية أو نورذرن تريتورى، وهى ليست ولاية حقيقية رغم أن مساحتها تعادل خمس مساحة أستراليا (١٣٠٠٠٠٠ كم مربع) ولكن معظم هذه المساحة أرض صحراوية لا يزيد عدد سكانها عن ١٦٠ ألف نسمة منهم ٣٠ ألفا من السكان الوطنيين، وتخضع هذه المنطقة لإدارة الحكومة الفيدرالية، وأهم مدنها داروين التى تقع على الساحل

الشمالي، وتعتبر المركز الإدارى للقسم الشمالى من هذا الاقليم. أما أهم مدن الجنوب فهى مارى سبرينجز، وهى مدينة خاضعة لإدارة السكان الأصليين، ويحلو للبعض وصفها بعاصمة أستراليا السوداء.

ومعظم سكان هذا الأقليم يعملون فى تربية الماشية وصناعة التعدين، ومع هذا فالطبيعة البكر لهذه المنطقة تجتذب فى كل عام عشرات الألوف من السائحين، ومن أشهر المزارات السياحية غابات كاكادو بالقرب من داروين حيث تعيش مئات الأنواع من الطيور والحيوانات الاستوائية.

وفى أقصى الجنوب تقع صخرة أبرز التى تعتبر من عجائب الطبيعة فى الصحراء الاسترالية، فهذه الصخرة عبارة عن كتلة واحدة من الحجر الرملى يصل ارتفاعها إلى حوالى ٣٥٠ متراً وطولها أكثر من ٣٫٥ كم، وهى بذلك أكبر كتلة حجرية فى العالم. وفى كل عام يفد مئات الألوف من السائحين لتأمل هذه الصخرة وقت غروب الشمس التى تصبغها بمئات الألوان.

وقد استرد السكان الوطنيون فى السبعينات أجزاء كبيرة

من أراضى هذا الاقليم الذى يتمتع بثروة معدنية ضخمة، ومن أهمها البترول والبوكسيت. وقد أثبتت الكشوف الحديثة أنه يحتوى على كميات هائلة من اليورنيوم، ربما تمثل ثلث الاحتياطى العالمى، ولكن أنصار الحفاظ على البيئة يعارضون استغلال هذه الثروة خشية أن تؤدى إلى تلوث البيئة.

استراليا الغربية

تشغل ولاية وسترن استراليا أو استراليا الغربية ثلث مساحة القارة تقريباً (٢ر٥ كم مربع)، ومع هذا فلا يزيد عدد سكانها على مليون ونصف مليون نسمة، ثلثهم يعيشون فى عاصمتها بيرث. وباستثناء الأطراف الشمالية والأطراف الجنوبية تغطى الصحراء أراضى هذه الولاية التى يتسم مناخها بالجفاف الشديد والحرارة القاسية، ومع هذا فهى من أغنى اقاليم أستراليا بفضل الثروات المعدنية التى تكمن في باطن أرضها، وإلى جانب الحديد والنيكل والبوكسيت واليورانيوم، اكتشفت فيها مناجم هائلة للذهب والألماس الذى تنتج منه سنوياً ثلث الانتاج العالمى.

ومن الطريف أن ملاحًا هولنديًا يدعى ديرك هارتوج سبق كوك إلى الوصول إلى استراليا بنحو مائة وخمسين عامًا تقريبًا، ولكن حظه العاثر جعله يهبط إلى الساحل الغربى الصحراوى، الذى رأى انه منطقة غير صالحة للسكنى ولا تستحق جهد استعمارها.

وكان هذا رأى الانجليز فى ذلك الاقليم أيضًا، الذى لم يبدأ عمرانه الحقيقى إلا فى عام ١٨٩٢ حينما اكتشف أرثر بيلى ووليم فورد عرقًا ذهبيًا ضخمًا بالقرب من منطقة كولجاردى. وأدى هذا إلى موجة زحف هائلة إلى الغرب لاستشكاف الذهب، وفي السنة التالية اكتشف باتريك هنان الذهب فى منطقة كالجورالى التى مازالت تستغل حتى اليوم.

ويوجد تبر الذهب فى الطبيعة مختلطًا مع عروق الكوارتز، واستخراجه يتطلب تهشيم كتل الكوارتز وسحقها، ثم تعريضها لتيار مائى، ولما كان الذهب ثقيلاً فهو يرسب علي القاع بينما يحمل الماء التراب والأحجار الأخرى. وأشهر عروق الذهب الآن فى كارولجى حيث يستغل فى مساحه تقدر بحوالى ٨٠٠ كم مربع ويبلغ عمق أنفاق التعدين فيه ١٣٠٠ متر، وقد استخرج منه حتى

نهاية الثمانينات ١٢٠٠ طن من الذهب. وقد ساهم فى ازدهار هذه المنطقة اكتشاف معدن النيكل بالقرب منها في السبعينات.

وتقع عاصمة هذه الولاية، بيرث، على الساحل الجنوبى الغربى، وتطل على المحيط الهندى، وقد أقيمت على عجل فى عام ١٨٢٩ لاثبات حق انجلترا فى تلك المنطقة النائية التى كانت فرنسا قد بدأت فى التطلع لامتلاكها. وقد أقيمت المدينة على شاطئ نهر يسمى سوان ريفر (أى نهر الأوز العراقى) ولذلك تتخذ المدينة هذا الطائر شعاراً لها.

ولم تبدأ شهرتها إلا بعد اكتشاف الذهب، ثم ازدادت أهميتها عقب الحرب العالمية الثانية عندما استغلت كميناء لتصدير الثروات المعدنية الأخرى للمنطقة. ومناخ المدينة يشبه مناخ منطقة البحر المتوسط، فهو جاف وحار فى الصيف وبارد ممطر فى الشتاء.

وتنمو فى هذه المنطقة الكثير من الغابات الطبيعية الضخمة وأهم أشجارها الكافور والجارا والكارى، ويصل ارتفاع شجرة الكارى إلى ٨٠ متراً وقطرها مترين ونصف وتمتاز بمتانة الخشب

الذى يقاوم الحريق، ولكنه إذا احترق لايترك خلفه سوى رماد أبيض، أما شجرة الجارا فلا يزيد ارتفاعها على نصف ارتفاع الكارى، وإن كانت تمثل خشبها فى الصلابة ومقاومة الاحتراق، ويصلح خشبها لصناعة الفلنكات وأغراض البناء لأنه يقاوم الحشرات.

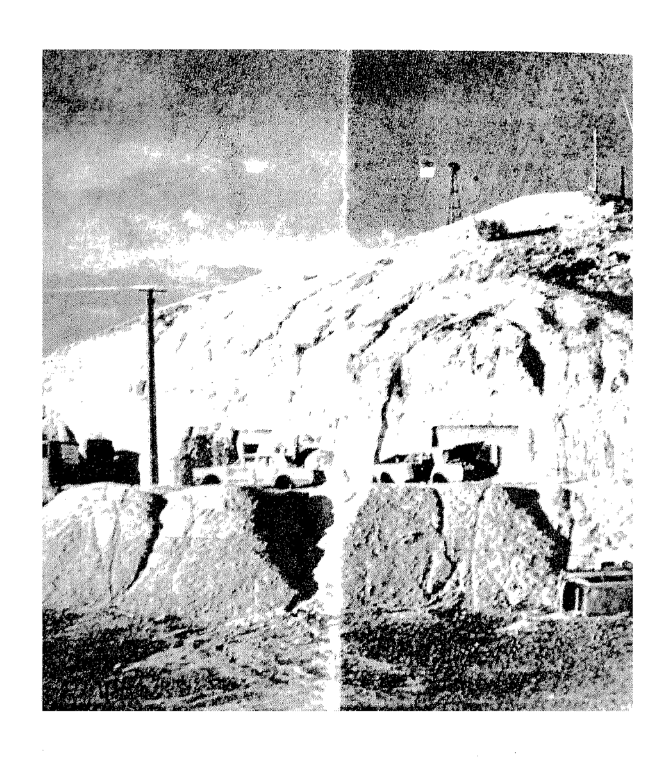
دفعت الحرارة الشديدة سكان مدينة كوبريدى إلى حفر بيوتهم فى الصخور والعيش فى باطن الأرض

استراليا الجنوبية

تقع هذه الولاية فى القسم الجنوبى من استراليا بين ولايتى استراليا الغربية وفيكتوريا، وتبلغ مساحتها حوالى مليون كيلو متر مربع، ولا يزيد عدد سكانها على مليون ونصف نسمة. والجزء الصحراوى منها شديد الجفاف قد تصل فيه درجة الحرارة فى الظل إلى خمسين درجة مئوية، ولكنه يشتهر بانتاج وهو من الأحجار الكريمة.

وقد اكتشف هذا الحجر لأول مرة عام ١٩١٥ فى منطقة كوبر بدى التى تبعد عن اوليد عاصمة الولاية نحو ٩٠٠ كم أى نفس المسافة تقريبًا بين القاهرة وأسوان. وقد اجتذبت هذه المنطقة الحارة المهاجرين الذين اضطروا إلى العيش تحت الأرض، فالمدينة بيوتها ومتاجرها وكنائسها منقورة فى باطن الصخر.

أما مدينة أدليد فهى تقع على الساحل الجنوبى لأستراليا المطل على الخليج الاسترالى العظيم الذى يشتهر بشده أمواجه وجوه العاصف. أما المدينة نفسها فتقع فى خليج فرعى يعرف باسم خليج سبنسر الذي تحمى مدخله من الأمواج العاصفة

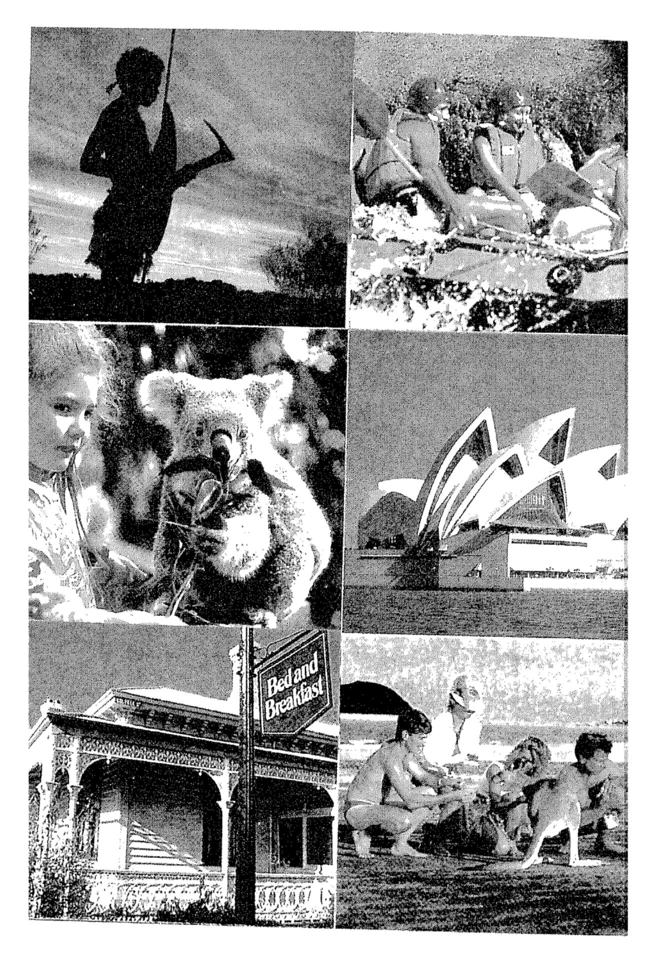


منجم فى منطقة كوبر بدى

جزيرة تعرف باسم كانجارو، ويجتذب شواطئها الصخرية حيوانات الفقمة وسباع البحر التى تعيش فى مستعمرات كبيرة على امتدادها.

وبالقرب من مدينة أدليد وادى باروسا، أشهر مناطق انتاج الكروم فى استراليا، وقد لجأت إلى هذا الوادى مجموعة من الأسر الألمانية البروتستنتية التى تعرضت للاضطهاد فى أرضها بسبب عقائدها الدينية فى ١٨٣٠، ونجحت فى زراعة الكروم فى أرضه، وأصبحت هذه المنطقة تنتج فى كل عام نصف مليار لتر من النبيذ. ويحتفل سكان الوادى كل عامين بعيد خاص للكروم على غرار الأعياد التى يقيمها الألمان للبيرة.

وكان مؤسسو مدينة أدليد نفسهم من اتباع بعض المذاهب البروتستنتية المتشددة الذين تعرضوا للاضطهاد فى بريطانيا فهاجروا إلى تلك المستعمرة النائية واختاروا تلك البقعة الموحشة لتأسيس مدينتهم. وأهل هذه المدينة يباهون أهالى سيدنى وملبورن بأن مؤسسى مدينتهم كانوا من الرجال الأحرار وليسوا من السجناء.



Bed and Breakfast

وتشتهر هذه المدينة بكثرة كنائسها حتى أنها توصف بمدينة الكنائس. ولكنها تتمتع كذلك بشهرة فى المجال الثقافى والفنى بسبب المهرجانات الهامة التى تقيمها كل عامين.

تسمانيا

تعتبر تسمانيا أصغر ولايات الاتحاد الاسترالى، وهى جزيرة كبيرة مساحتها ٦٧ ألف كم مربع تقريبًا ويسكنها ٤٥٠ ألف نسمة تقريبًا، وهى تقع قبالة الساحل الجنوبى الشرقى لاستراليا قبالة ولاية فيكتوريا. وقد اكتشفها الملاح الأيرلندى أبل تاسمان الذى سميت على اسمه عام ١٦٤٢، أى قبل اكتشاف استراليا بحوالى ١٣٠ سنة تقريبًا. وتتمتع الجزيرة بمناخ معتدل مطير.

وقد بدأ استيطان الأوربيين فيها عام ١٨٠٣ بعد اكتشاف استراليا وتأسيس سيدنى، وقد أبادوا السكان الوطنيين جميعًا أو أرسلوهم إلى استراليا، ولذا فجميع سكانها الآن ينحدرون من أصل أوربى، وأهم مدنها لانستون وهوبرت العاصمة.



استراليا
كندا
اسبانيا
تركيا
الهند
الصين
اليابان
اندونيسيا
ايطاليا
البرازيل
بيرو
تونس
عمان
بلجيكا
جنوب افريقيا

